# أسباب الانتحار

بحث علمي احصائي

بواعثهُ ومعدلهُ بين شعوب الأرض

ومختلف طبقاتها

الحياة في كل شعوب الأرض أثمن قنية يقتنيها الانسان . ولا بدَّ من أن تبقى في حرز حريز لا تباح للمعتدي إذا شئنا لسراتها البقاء . على الرغم من المصاعب التي تصادفها وضروب ألهوان والخيبة التي تصيبنا يظل الأمل عاجزاً في الغالب عن الفوز على الرغبة في الحياة . ومع ذلك نجيء على كثير من الناس أحيان يتمنون فيها راحة الموت وسلام القبر . فالوجود كثير التعقيد لا يخلو من بواعث اليأس والقنوط وكثيراً ما يجد الانسان نفسه في مأزق تصغر فيه قيمة الحياة أمام راحة القبر . تملك هذه الخواطر عنان النفس لحظة عابرة فاذا استطاع الانسان ان يحتفظ في تلك اللحظة بعقله واتزانه أدرك أن مصاعبهُ تنقضي وان سيأً مقروناً بالحكمة يخرج به من المعمعة ظافراً . ولا ريب في أن غريزة البقاء تضع أمام العزم على الانتحار سدّاً منيعاً ولكن هذا السد ينهدم في بعض ساعات القنوط الشديد فتزهق الروح وتخمد شعلة الحياة . ومهما يكن السبب فعدد الذين يختارون هذه الطريقة للفرار من تبعات الحياة كل سنة كثار يعدون بالالوف وتكنهم في الغالب هم المغلوبون في ميدان الحياة وانتحارهم افرار منهم بعجزهم وهزيمتهم

﴿ زيادة الانتحار ونقصه ﴾ عدد الذين ينتحرون في الولايات المتحدة الأميركية كل سنة وثبت حوادث انتحارهم يبلغ نحو ١٦٠٠٠ نسمة . ولا ريب في ان عدداً كبيراً ينتحر فلا يسجَّل انتحاره لأن أقاربهم يخفون السبب فيدوّن في سجل الوفيات على أن الوفاة طبيعية أو غير ذلك . ومن المتعذر علينا الآن أن نثبت هل الانتحار آخذ في الزيادة في أميركا أو هو ثابت على متوسط واحد . فالاحصاءات المدونة لم تبدأ الا في مطلع القرن العشرين فما كان متوسط المنتحرين ١١٫٥ في الألف وظلَّ يرتفع حتى بلغ ١٧٫٨ في الألف سنة ١٩٠٨ وظلَّ نحو ١٦ في الألف الى مطلع الحرب الكبرى . فلما دخلت الولايات المتحدة غمار الحرب هبط متوسط المنتحرين تدريجيًّا الى أن بلغ ١٢٫٢ في سنة ١٩٢٠ وهذا يسابق زيادة الانتحار وفصاله في البلدان الأوربية مما يدل على أن خير ما يقال في أسبابه التي أشرت عليها آنفاً هو أنه يدفع بالنفوس الى

الانتحار قنوطاً من صلاح الحال . ثم أخذ هذا المتوسط يرتفع في الولايات المتحدة الأميركية سنة ١٩٢١ حتى بلغ ١٣٫٦ سنة ١٩٢٨ فالاتجاه العام غير مبين ولكن الأمر الذي لا ريب فيه أن المتوسط هبط عما كان عليه سنة ١٩١١ ومما يؤثر في هذا العدد ان متوسط الانتحار بين الهال في الريف نقص اكثر من نقصه في مجموع الأمة

﴿ اختلافه باختلاف البلدان ﴾ ومتوسط الانتحار يختلف باختلاف البلدان فيبين عن العادات المختلفة التي يجري عليها السكان وعقائدهم الدينية وأحوالهم الاقليمية والاجتماعية وغير ذلك من العوامل التي تزجر النفس وتقيها من الاستسلام لعوامل الهلاك . في النصف المتوسط نجد الولايات المتحدة والنمسا وأسوج وويلز واسكتلندا وأستراليا وزيلندا الجديدة وفلاندا . ويفوقها قليلاً في عدّ متوسط الانتحار بلدان البلجيك والدنمارك وفرنسا ويقل عنها قليلاً بلدان بإيطاليا وهولنده ونروج وكندا . وأعلى متوسط للانتحار في اليابان والبلدان الجرمانية كألمانيا والنمسا وسويسرا والمجر وبولونيا وتشكوسلوفاكيا . والمتوسط فيها يتراوح بين ٢٥ في الألف و٣٠ في الألف وهو ضعف المتوسط في أميركا وانكلترا وغيرهما وستة اضعاف الى عشرة اضعاف المتوسط في البلدان الكاثوليكية مثل أسبانيا وإيرلندا وشيلي وكوبا . ومما هو جدير بالذكر ان متوسط الانتحار في القسم الكاثوليكي من أرلندا يبلغ ٣٫٢ في الألف وفي القسم الشمالي وهو القسم البروتستانتي يبلغ ضعف ذلك او نحو ٦ في الألف

﴿ الزنوج والبيض ﴾ والانتحار في الولايات المتحدة الاميركية مقتصر تقريباً على البيض ففي أحد عشر مليوناً من الزنوج في تلك البلاد لم يحدث سوى ٥٠٠ حادثة انتحار في سنة . وهذه الحقيقة على جانب من الخطورة لأن متوسط القتل العمد بين الزنوج عالٍ جداً . فليس ثمت أساس علمي للاعتقاد القائل بأن الانتحار والقتل يسيران جنباً الى جنب . وأنهما ينشآن عن احتقار الحياة الانسانية . والظاهر ان لكل من العملين سراً نفسياً معيناً يختلف عن الآخر . فالقتل ينشأ في الغالب عن انفعال عنيف مفاجيء يتلوه الدافع للقتل . أما الانتحار فيغلب عليه ان يكون نتيجة تدبّر وروية وتأمل باطني وهي نفس العوامل التي تخمد الإقدام المنصبّ الى العمل

﴿ السن : الكبار والصغار ﴾ والسن عامل من أهم العوامل في الانتحار وعلى الضد من الاعتقاد العام يزداد متوسط الانتحار بتقدم السن . فالأطفال والصغار يندر ان يقع بينهم حادث انتحار . فخفتهم وهيجهم ونشاطهم تحول دون مرارة الحياة وظلمة الهبوط . ففي سنتي ١٩٢٣و١٩٢٤ وقع في الولايات المتحدة التي شملتها الاحصاءات ٢٣٠٠٠ حادث انتحار لم يكن بينها سوى ٧٨ من الأطفال لم تبلغ من العمر اثنتي عشرة سنة واحد في المائة تقريباً من الحوادث التي

تشهرها الصحف وتهوّل بها ألم يثبت ان الانتحار بين الصغار مسألة اجتماعية معقدة ولا علاقة لها بما تدّعيه الصحف من تفشي الشعور بالمرارة والخيبة بين الاحداث وأكبر دليل على ذلك ان نقص متوسط الانتحار كان معظمهُ في ضيقة الاحداث المراهقين في السنين الأخيرة . واذا بدأنا التتبع من سني المراهقة الى الكهولة وجدنا انهُ كلما تقدم الشبان في السن زاد متوسط الانتحار بينهم . بل ان نصف حوادث الانتحار التي تقع في أميركا تقع بين الرجال الذين سنهم ٤٥ سنة او فوق ذلك مع ان الرجال الذين في هذه السن ليسوا الا عشرين في المائة من مجموع السكان والانتحار في الرجال وفي النساء يبلغ معظمهُ في الكهولة والشيخوخة وهو في الرجال أكثر منهُ في النساء

(الرجال والنساء) والواقع انهُ يصح القول بأن الانتحار استجابة نفسية خاصة بالرجال فعدد المنتحرين كل سنة ثلاثة أضعاف المنتحرات . ولا يفوق متوسط المنتحرات متوسط المنتحرين الا في السن ١٥ — ١٩ وهو لا شأن له لقلة المنتحرين والمنتحرات فيهِ كما تقدم . على أننا نستطيع ان نتبين من ذلك ان اضطراب الحالة النفسية في سن المراهقة أبعث على انتحار الفتيات منهُ على انتحار الفتيان . ولكن الآية تنقلب بعد سن العشرين وبأخذ متوسط المنتحرين يطرد ازدياداً . ومنهُ نتبين ان المنتحرين في سن ٢٥ — ٣٤ يفوق ضعفي المنتحرات في ذلك السن ثم يصير أربعة اضعاف في السن ٣٤ — ٤٥ وسبعة اضعاف فوق سن الخامسة والستين

(وسائل الانتحار) أما في وسائل الانتحار فللرجل خطة معينة واضحة وللنساء مثلها . فالرجال يستعملون الوسائل العنيفة كاطلاق الرصاص والشنق وهما أكثر الوسائل شيوعاً بين الرجال . أما النساء فيؤثرون السم والاختناق بفتح أنبوب الغاز . وفي الغالب يندر ان تختار المرأة وسيلة للانتحار تنطوي على اراقة الدم او تشويه الجسد . وقد بلغ من ندرة استعمال الرصاص للانتحار بين النساء ان أشار بعض الأطباء النفسيين ( Psychiatrist ) الى ان استعمال امرأة للرصاص في الانتحار دليل على ميلها الخشوي

ومع ان الرجال يطلقون الرصاص غالباً والنساء يؤثرون السم الا ان هنالك « أزياء » أي أسباباً خاصة تفشو حتى في الانتحار ثم تزول . فمنها في هذه الأيام الارتماء من نوافذ البنايات العالية . ومما لا ريب فيهِ ان وسائل الانتحار تختلف باختلاف البلدان . ففي سويسرا يفضل المنتحرون ان يشنقوا أنفسهم على ان يطلقوا الرصاص والنساء يفضلن الغرق على السم . والانتحار غرقاً في بلجيكا كثير الشيوع فهو بين النساء ثاني وسائل الانتحار شيوعاً وبين الرجال تاسعها . ومما لا ريب فيهِ ان سهولة تناول نوع وسيلة الانتحار في كثير من الجهات فاذا كان لا سان قاطعاً ونبع درجةً ورأى مسدساً محشوّاً أطلقهُ على نفسهِ او اذا رأى أمامهُ جبلاً جديداً

وكاناً يطلق منهُ انتحر شنقاً . فالوسائل عندهُ سواء لا يفضل منها الاَّ ما كان رهن يديهِ ولكن هنالك طائفة من المنتحرين تكابد انواع المشاق لتنتحر بطريقة مرسومة من قبل. وقد علمنا حديثاً عن أول حادثة انتحار بالارتماء من طيارة أقدمت عليها سيّدة لتفوز في موتها بالشهرة التي تخطتها في حياتها

﴿ الانتحار والحالة الاقتصادية ﴾ واذا حاولنا ان نتبين العلاقة بين الميل الى الانتحار وحالة المنتحرين المالية عرفنا ما ينطوي عليهِ هذا البحث من الصعوبة والتعقيد . والحقائق التي لدينا لا تسوّغ لنا الاَّ الاستنتاج التالي : يندر أن يكون سبب الانتحار واحداً . فقد قيل أن الأثرياء الذين يملكون كلّ وسيلة للتمتع في الحياة أقرب الى الانتحار من المعدمين الذي لا يكادون يملكون ما يتبلغون بهِ . ولكن الاحصاءات التي بيننا عليها هذا لا تؤيد ما يقال . فسجلات الوفيات في الولايات المتحدة الاميركية الاميركية لا تفيدنا في تبيين حالة المتوفى المالية والاجتماعية . على أن خير ما نستطيع الاعتماد عليهِ بعد السجل الرسمي ، احصاءات شركة متروبوليتان للتأمين على الحياة . فلديها طائفتان من حاملي بوالص الشركة طائفة صناعية وطائفة عادية . وتشتمل الأولى على العمال القاطنين المدن ومتوسط الانتحار بينهم بحسب احصاءات هذه الشركة أعلى في كل سني الحياة ( بعد العشرين من العمر ) من حاملي البوالص العادية وجلّهم من أصحاب المهن الحرّة وأصحاب المرتبات

وهناك أدلة أخرى تشير الى أن متوسط الانتحار يتبع الى حدٍّ ما الحالة المالية . ذلك أن متوسط الانتحار بين الرجال يختلف باختلاف الاحوال الاقتصادية العامة. ففي سنة ١٩٢٢ قام الاستاذان اوغبرن وتوماس بدرس دقيق خرجا منهُ بان الرواج ينقص متوسط الانتحار بين الرجال والكساد يزيدهُ . وقد وصل باحثون آخرون الى مثل هذه النتيجة من طرق اخرى. فحالة الكساد التي كانت سائدة في دوائر العالم المالية والاقتصادية بين ١٩١٣ و١٩١٥ رافقتها زيادة تذكر في متوسط الانتحار . ثم نقص المتوسط في سنوات الرواج في اثناء الحرب والكلام على اميركا ، حتى بلغ حدَّهُ الأدنى سنة ١٩٢٠ فلما بدأت فترة الكساد بعدها أخذ يزداد مما يدلُّ على وجود علاقة طردية بين الرواج ( أو الكساد ) ومتوسط الانتحار . ففي الذعر المالي الذي استولى على وول ستريت في آخر سنة ١٩٢٩ قبل أن الناس الذين فقدوا كل ما يملكونهُ في تلك الكارثة كانوا يرتمون من نوافذ الفنادق التي يقيمون فيها . وقد استنبطت للدلالة على ذلك نصة فقيل أن كاتب احد الفنادق كان يسأل كلّ من يطلب استئجار غرفة في فندقهِ « هل في نيتك ان تستعمل الغرفة لغرض القفز ؟ » ولا نتبع ان حوادث الانتحار ارتفاعاً الى شهرتها الصحف لا شأن لها في الاحصاءات الرسمية لقلتها

اما في انكلترا فتقسم الأمة الى خمس طبقات اقتصادية ومتوسط الانتحار في الصفتين الأوليين فوق المتوسط العام ومتوسطهُ في الصفات الثلاث الباقية تحت المتوسط العام . ومن الغريب أن اكثر حوادث الانتحار تقع في انكلترا بين اصحاب المهن الحرة وخاصة الأطباء وأطباء الاسنان والمحامين على حين ان قلة جداً بين المعلمين ورجال الدين . ولم تروَ حادثة انتحار واحدة بين رجال الدين الكاثوليكي مع ان متوسط الانتحار بين رجال المذهب « الانجليكاني » فوق المتوسط العام وبين رجال المذهب البروتستاني فوق المتوسط العام . ومما ثبت ايضاً ان الانتحار كثير جداً بين وكلاء شركات التأمين وتجار المشروبات الروحية وأصحاب الحانات وبعض المشتغلين بصناعة الغزل والنسيج . فالاحصاءات البريطانية تؤيد القول بان الانتحار اكثر بين الصفات الدنية منهُ بين الطبقات الكبيرة . ولكن الفروق التي تشير اليها الاحصاءات التي لا تكفي لتأييد هذا الحكم الفاصل تأييداً نهائياً

﴿المدن والريف﴾ هل في ازدحام المدن عوامل تعيدُ النفوس للانتحار ؟ لا نعلم . ولكن الواقع الذي تؤيدهُ الارقام هو ان متوسط الوفيات في المدن أقل منهُ في الارياف . وتعلل ذلك عائد الى استقرار العائلة الريفية وقلة الطلاق فيها وقلة الازواج الذين لا أولاد لهم ولوحدة العادات والتقاليد وتمام التفاهم بين الزوج والزوجة . وليس الانتحار في المدن اكثر منهُ في الأرياف فقط بل هو في المدن الكبيرة اكثر منهُ في المدن الصغيرة . اذا تساوت العوامل الاخرى . ففي سنة ١٩٢٦ كان متوسط الانتحار العام في الولايات المتحدة الاميركية ١٢٫٢ في الالف . وكان في نفس السنة في المدن ١٦ في الالف وفي المدن التي يزيد سكان المدينة منها على نصف مليون نفساً ٨٫٤ في الالف

﴿الشعب والعقيدة والثقافة﴾ وقد كان سكان الولايات المتحدة الاميركية مؤلفين من شعوب مختلفة فدرس تاريخ الانتحار بين هذه الشعوب لهُ شأن كبير في تفهم اسبابه والبواعث عليه . وقد أشير فيما سبق في هذه الناحية عن ان الفرق على أشدهِ بين الاميركيين المولودين ألماناً أو من أبوين ألمانيين وعلى أشدهِ بين الايرلنديين واليهود . أما بين الايرلنديين فمتوسط الانتحار قريب من متوسط الاميركي العام وان كان أعلى من متوسط الانتحار في ايرلندا . أما الانكليز الناطقون في كندا فمتوسط الانتحار بينهم أعلى جداً من المتوسط الاميركي العام بين هؤلاء قريبون من الانكليز في بلادهم

يظهر من ذلك ان ميل الى الانتحار يختلف باختلاف الشعوب . ولكن كلمة « شعب » لا تدل على معنى معين واضح نستعملها هنا تدلنا على ميراث تاريخي وثقافي وديني واحد . وهذه العوامل النفسية هي من اهم العوامل أثراً في تكوين نفسية الحياة . فاذا كان الفرد يسلم بتعاليم

الكنيسة تسليماً حرفيًّا ويخضع لسلطتها ويأخذ بما ترسمهُ له من واجبات قليل الى الانتحار قليل . أما اذا كان نظام الكنيسة غير محكم وسلطانها مبهماً وكانت للفرد الحرية المطلقة في توجيه حياته فالراجح أن الميل فيه الى الانتحار يكون قويًّا . وهذا يعلل الى حد ما قلة الانتحار في البلدان الكاثوليكية . قالانتحار شيء نادر بين فلاحي أسبانيا وايطاليا وارلندا وغيرها من البلدان الكاثوليكية . حتى في المانيا حيث يكثر الانتحار نجد فرقاً بين متوسطه في بروسيا الوثرية وبافاريا الكاثوليكية

ومما يتصل بالعقيدة الدينية في تحديد الميل الى الانتحار الوجهة الفكرية التي تخلقها الثقافة السائدة . فمن الشعوب من يخضع للسلطان سواء كان روحيًّا أو عقليًّا أو سياسيًّا أو إجتماعيًّا على أنهُ إرادة الله . والفلاحون في الغالب هم من هؤلاء فانهم يقبلون سلطة الكنيسة والدولة ويسلمون معهما بأن الانتحار جريمة في نظر الله والدولة . فهم يحسبون الحياة هبة من الله ويسلمون كما يعلمون ، انَّ على كل انسان أن يحمل صليبهُ مسلمًا ، من غير ان يتساءل عما في ذلك من عدل أو جور . يقابل ذلك آراء الطبقات المتعلمة ومعظمهم في التالب من سكان المدن وعندهم ان للفرد مقاماً خاصًّا في نظام الاجتماع وينتظرون من الحياة اسباغ نعمها عليهِ فاذا لم يتمّ ما يطلبون شعروا ان الحياة نفسها تخيب مقاصدها وتقطع عليهم سبيلها فتضطرب عقولهم وتقلق نفوسهم من هنا يكثر انتشار الانتحار بينهم

لقد أتينا فيما تقدّم على العوامل الخارجية التي لها أثر في زيادة متوسط الانتحار أو نقصانهِ . ولكن الاقدام على الانتحار أو الرغبة فيهِ نتيجة نزاع نفسي . فما هو الاَّ الفصل الأخير في « درامة » نفسية عنيفة . وفي بيان هذا النزاع يجب ان نلجأ الى الاطباء النفسيين . هؤلاء يقولون ان الانتحار نادرٌ بين الناس ذوي العقول المتزنة والعواطف المستقرّة . وانهُ منتظر في الذين على النقيض من ذلك . فقد شرَّح الدكتور بفيفر (Pfeiffer) جثث ٦٠٠ منتحر فوجد في عدد كبير منها آفات في الدماغ . وحلَّل الدكتور ستزنز (Stertz) عدداً من حوادث الانتحار في ولاية مستشوستس فوجد الجنون جليًّا في ثلثها ووجد في ثلث آخر أعراض النورستينيا أو إدمان الكحول والمخدرات . وهناك حالتان نفسيتان اليهما ترجع أسباب كثيرة من حوادث الانتحار . الاولى الملانخوليا وأساسها الشعور بالتدني والضعف . والثانية « دمنشا بريكوكس » ومن مظاهرها شعور الاستيلاء والعظمة ومنها وهم يسيطر على مريض فيقنعهُ بأن الله يدعوه اليهِ . ثم هناك الجنون الناجم عن الاصابة بالخلق (السفلس) أو ادمان الكحول . وبعد كل هذا نجد حوادث إنتحار اتباعث عليها اضطراب عقلي أو شعوري من غير أية إصابة عضوية وهذه ترجع غالباً الى طريقة التعليم والتهذيب وطريقة اتصال الفرد بالمجتمع فيستولي عليهِ شعور الخيبة والصدّ والفتور